مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
Anbar University Journal Of Islamic Sciences
P. ISSN: 2071-6028 E. ISSN: 2706-8722
Volume 16- Issue 1 - March 2025 | المجلد ١٦- العدد ١ -اذار ٢٠٢٥م

مسارات العلاقة بين الخطاب الديني وقضايا الكون والإنسان والحياة قراءة في سورة الضحى

١- ا.م.د. محمود بطل محمد أحمد
جامعة الشارقة/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية + جامعة الأزهر

١- الإيميل:
Mahmoud.ahmed@sharjah.ac.ae

DOI: 10.34278/aujis.2025.186341

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٤/٧/١١م
تاريخ قبول البحث للنشر: ٢٠٢٤/٩/٢٤م
تاريخ نشر البحث: ٢٠٢٥/٣/١م

الكلمات المفتاحية:
الخطاب الديني، الإنسان، الكون، الحياة، سورة الضحى

©Authors, 2025, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص

يأتي هذا البحث ليبين مسارات العلاقة بين الخطاب الديني والقضايا الفكرية الكبرى من خلال سورة الضحى، ومن النتائج التي توصل إليها الباحث أن التأصيل للخطاب الديني مثّل مجالًا محوريًّا من مجالات المنهج القرآني، وأن الخطاب الديني الذي ينطلق من وعي بالقضايا الكونية خطاب يستطيع أن يبرهن على اتساق آيات الله المسطورة مع آياته المنظورة فيدحض فرية التعارض بينهما.

ومن النتائج كذلك أن تأكيد الموعود الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن طريق القسم بمظهر من مظاهر الكون يعطي دلالة على تجذر العلاقة بين التأسيس القرآني للخطاب الديني والوعي بالقضايا الكونية، وأن قضية الوحي في حد ذاتها والتي كانت المقصد الأساسي لسورة الضحى تُعَدُّ إحدى الدلائل على ما بينه الإسلام في حقيقة الكون حيث يمثل الوحي دليلًا على أن الكون ليس ذا إطار آلي بل هو خاضع لإرادة الخالق. وأن من مسارات العلاقة بين الخطاب الديني والقضايا الإنسانية من خلال سورة الضحى أن الوحي حاجة إنسانية حيث يمثل الهدى الإلهي لهذا الإنسان، وأنه كان من دلالات سورة الضحى الكشف عن الطبيعة البشرية وما يعتريها ومن ذلك حاجة النفس الإنسانية إلى رد الادعاءات التي تطالها لما لذلك من أثر نفسي.

ومن النتائج أيضا أن القرآن الكريم لم يعرض قضية طبيعة الحياة على أنها مجرد تصور فكري عند الإنسان ليس له انعكاسات واقعية، بل حين نتدبر هذا الحديث نجد أنه بيَّن أن كثيرا من التصرفات الإنسانية إيجابية كانت أو سلبية ترجع للقناعات المتعلقة بطبيعة الحياة، وأن قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ الضحى: ٤ كان موردًا لاستنباط العلماء الفوارق بين طبيعة الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

The paths of the relationship between the religious discourse and issues of the universe, human and life

[1] **Assist. Prof. Dr. Mahmoud batal Mohamed ahmed**

- University of Sharjah/ College of Sharia and Islamic Studies
- Al-Azhar University

1: Email:
Mahmoud.ahmed@sharjah.ac.ae

Abstract:

This research shows the compatibility between the religious discourse and the Islamic vision of the universe man and life to improve through Surah Ad-Duha. Among the results of the research is that the religious discourse that starts from knowledge of the cosmic details is a discourse that can negotiate the compatibility of God's verses with God's verses.

Another result is that mentioning a manifestation of the universe gives an indication of the close relationship between the Qur'anic foundation of religious discourse and awareness of cosmic issues.

The revelation itself is evidence of what Islam has made clear about the reality of the universe and that it was created by God Almighty.

And that revelation is a human need, as it represents divine guidance for man, and that one of the meanings of Surat Al-Dhuha is a statement of human nature and the need of the human soul to refute allegations.

Another result is that the Holy Qur'an did not present the subject of the nature of life as a concept only, but rather it has an impact on reality, and that many human actions stem from thoughts.

DOI: 10.34278/aujis.2025.186341

Submitted:	**11/7 /2024**
Accepted:	**24/9 /2024**
Published:	**1 /3 /2025**

Keywords:
the religious discourse, human, the universe, life, Surat Al-Dhuha.

©Authors, 2025, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فالتأصيل مثَّل للخطاب الديني مجالًا محوريا من مجالات المنهج القرآني، واتخذ هذا التأصيل العديد من المسارات، فمنها بيان أسسه وقواعده، ومنها إيضاح أهميته الإنسانية والاجتماعية، ومنها عرض نماذج من الدعاة الأُول الذين حملوا الرسالة الإلهية، ويأتي بيان العلاقة بين هذا الخطاب والقضايا الفكرية الكبرى ليشكل إحدى أبرز مسارات التأصيل القرآني للخطاب الديني حيث ربط المنهج القرآني بين التأصيل للخطاب الديني وبيان الرؤية الإسلامية لتلك القضايا، فوجدنا انسجامًا كبيرًا بين السياقين الديني والفكري.

وحين كانت القضايا الكبرى الثلاث "الكون والإنسان والحياة" تمثل القضايا المحورية التي دار حولها الفكر الإنساني وتقاسمت تاريخه ومدارسه أتى المنهج القرآني ليؤصل لهذه القضايا تأصيلا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتأصيلاته لقضايا الخطاب الديني ليتضح لنا أن من أبرز أدوار الخطاب الديني انطلاقه من وعي متكامل بهذه القضايا الفكرية وقدرته على إيضاح الرؤية الإسلامية لها.

إن الخطاب الديني الذي ينطلق من وعي بالقضايا الكونية خطاب يستطيع أن يبرهن على اتساق آيات الله المسطورة مع آياته المنظورة فيدحض فرية التعارض بينهما.

والخطاب الديني الذي ينطلق من وعي بالقضايا الإنسانية خطاب يستطيع أن يوسع من دائرة التعاطي الإنساني معه حيث سيكون خطابًا متسقًا مع فطرته وطبيعته مصلحًا لمسارات العلاقة بين أفراده.

والخطاب الديني الذي ينطلق من وعي بالحياة خطاب يستطيع أن يندمج في الحياة مع امتلاك رؤية تصحيحية لها من التكامل والشمول ما يمكنه من الوقوف أمام الرؤى المبتورة ومعطياتها.

من هنا أتى هذا البحث تحت عنوان (**مسارات العلاقة بين الخطاب الديني وقضايا الكون والإنسان والحياة، قراءة في سورة الضحى**) ليعطي أنموذجًا قرآنيًّا للعلاقة بين الخطاب الديني والقضايا الفكرية الكبرى.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

١ – بيان خصوصية سورة الضحى في سياق التأسيس للخطاب الديني.

٢ – بيان أوجه الارتباط بين الخطاب الديني والقضايا الكونية.

٣ – إيضاح أوجه العلاقة بين الخطاب الديني والقضايا الإنسانية.

٤ – الكشف عن العلاقة بين الخطاب الديني والرؤية الإسلامية للحياة.

مشكلة البحث

رغم عِظَم التأصيل القرآني للقضايا المتعلقة بالخطاب الديني إلا أن هناك بعض الجوانب التي لم يتم استيعابها الاستيعاب الأمثل في الواقع المعاصر، ومن تلك القضايا الدور المحوري الذي يتحتم أن يضطلع به الخطاب الديني تجاه بيان الرؤية الإسلامية لقضايا الكون والإنسان والحياة باعتبارها إطارا جامعا للقضايا الفكرية مما جعل من أولويات البحث في هذا الخطاب الكشف عن مسارات المنهج القرآني في تأسيسه لهذا الدور؛ لذا كان التساؤل الرئيس لهذا البحث هو:

ما هي مسارات التأصيل القرآني للعلاقة بين الخطاب الديني والوعي بقضايا الكون والإنسان والحياة في ضوء سورة الضحى؟

منهج البحث

استعملت في هذا البحث منهجين، وهما: المنهج الاستقرائي، وتتبعت من خلاله آيات سورة الضحى كأنموذج قرآني، والمنهج التحليلي ، والذي قمت من

خلاله بتحليل هذه الآيات والكشف عن مسارات العلاقة بين الخطاب الديني والرؤية الإسلامية لقضايا الكون والإنسان والحياة.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مطالب على النحو التالي:

- ✓ **المقدمة:** وبينت فيها أهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومشكلته، ومنهجه، وخطته.
- ✓ **التمهيد:** مفهوم الخطاب الديني

المطلب الأول: خصوصية سورة الضحى في تأسيس الخطاب الديني.

المطلب الثاني: الخطاب الديني والرؤية الإسلامية للكون.

المطلب الثالث: الخطاب الديني والرؤية الإسلامية للإنسان.

المطلب الرابع: الخطاب الديني والرؤية الإسلامية للحياة.

التمهيد: مفهوم الخطاب الديني

الخطاب مادته (خطب) ويدور معناها حول مراجعة الكلام، يقال: خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان. والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة.(١)

وهو من قبيل المشترك اللفظي حيث يُطلق ويراد به المصدر وحينئذ يكون معناه: توجيه الكلام نحو الغير للإفهام. (٢)

وقد يُطلق ويراد به المفعول، ويكون معناه حينئذ: الكلام الذي بحيث يوجه إلى المتهيئ لفهمه. (٣)

وقد فصَّل الكفوي تفصيلًا مهماً لمفهوم الخطاب بهذا الإطلاق فقال: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه، احترز " باللفظ " عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة و " بالتواضع عليه " عن الألفاظ المهملة، و " بالمقصود به الإفهام " عن كلام لم يُقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا، وبقوله: " لمن هو متهيئ لفهمه " عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم. (٤)

والدين هو: وضع التي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول عليه السلام. (٥)

---

(١)جمال الدين محمد ابن منظور (ت: ٧١١ هـ). *لسان العرب*. ط٣. (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ)، جـ١، صـ٣٦١

(٢)مسعود بن عمر التفتازاني (تـ٧٩٣هـ). *شرح التلويح على التوضيح*. (مصر: مكتبة صبيح) ، جـ١، صـ٢٢

(٣)ابن أمير حاج محمد بن محمد الحنفيّ (ت ٨٧٩هـ) . *التقرير والتحبير*. ط٢ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، جـ٢، صـ٧٨

(٤)أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت: ١٠٩٤ هـ). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. تح: عدنان درويش ومحمد المصري. (بيروت: مؤسسة الرسالة)، صـ٤١٩

(٥)محمد عميم الإحسان البركتي. *التعريفات الفقهية*. ط١. (دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، صـ٩٨

والخطاب الديني المراد في هذا البحث هو المتعلق بالإسلام، وقرينة ذلك كونه يأتي في ضمن ما قررته سورة الضحى، وعلى هذا الأساس يمكن أن نعرف الخطاب الديني بأنه: الخطاب الذي يستند في مضمونه إلى مصادر التشريع الإسلامي. (١)

ويعرف أيضا بأنه: خطاب من هو أهل لأن يجتهد في بيان شرع الله تعالى.(٢)

والبعض عرفه بأنه: خطاب الأنبياء والرسل الكرام مع أقوامهم في مختلف الأزمنة والأمكنة. (٣)

إن تعريف الخطاب الديني يعطينا دلالة على أنه مفهوم ذو طابع اجتماعي يتم فيه التواصل بين طرفين مما يحتم النظر إليه باعتبار كل منهما والبحث كذلك عن العوامل التي تعين على فعاليته.

وحين نستعرض خطاب الأنبياء والرسل في القرآن الكريم نجد أن القرآن قد وضع أيدينا على ما يمكن أن نسميه أركان الخطاب حيث المخاطِب والمخاطَب وموضوع الخطاب ومنهجه.

فالمخاطِب هم الأنبياء والرسل بما لهم من صفات بينها القرآن وجعلها إطارا تأسيسيا للاقتداء بهم، والمخاطَب هم أقوام الرسل والأنبياء والذي أوضح لنا القرآن الكريم الكثير من طريقة تفكيرهم وتلقيهم للخطاب وموقفهم منه، وكيف أن أحوال المخاطبين هذه كانت متطلبة لمنهجيات متنوعة من قبل الأنبياء والرسل، وموضوع الخطاب حيث عرض لنا القرآن الكريم القضايا التي كانت محور خطاب الرسل

---

(١) عبد السلام حموده . الوسطية في الخطاب الديني وأثره في المجتمع. صـــ٣١، نقلا عن بشرى محمود صالح. *الخطاب الديني ودوره في التنمية المجتمعية*. (العراق: الجامعة المستنصرية) صـــ٤.

(٢) ينظر: عياض بن نامي السلمي .*"تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه"*. مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، مجلد٦، عدد١٧،(٢٠١٠م)

(٣)مناهج جامعة المدينة العالمية جامعة المدينة العالمية .*لخطابة*.، صـــ٢٣٢

والأنبياء والتي تنوعت ما بين قضايا عقدية وتشريعية وخلقية، وأما منهج الخطاب فقد عرض لنا الكثير من الوسائل والأساليب التي استهدفت جميع المكونات الإنسانية الروحية منها والجسدية، العقلية منها والوجدانية.

إن تعدد أركان الخطاب الديني بهذه الصورة يحتم على الباحثين في أي من قضاياه استحضار هذه الشمولية حتى يتمكنوا من المعالجة الدقيقة التي تنعكس بالتالي على النتائج.

المطلب الأول: خصوصية سورة الضحى في تأسيس الخطاب الديني

لا شك أن لكل السور القرآنية مدخلًا في التأسيس العام للخطاب الديني ؛ لأنها إما أن تدور مقاصدها حول موضوعات الإسلام العقدية أو التشريعية أو الخلقية، أو تأتي في إطار بيان منهجية هذا الخطاب، وهذا لا يمنع أن لبعض السور القرآنية مدخلية خاصة في التأسيس للخطاب الديني؛ وذلك بسبب سياقها الزماني أو المكاني أو غير ذلك، فصدر سورة(اقرأ) مثلا تكمن خصوصيته التأسيسية للخطاب الديني في كونه بداية الوحي الإلهي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مما يجعل من استحضاره في تاريخ الرسالة النبوية أمرا محتما.

وتأتي سورة الضحى لتكون ضمن السور التي لها خصوصية في تأسيس الخطاب الديني، ويمكن أن يتضح ذلك من خلال عدة أمور:

الأول: من حيث سياقها الزماني حيث إنها تقع ضمن السور الأوائل التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر جابر بن زيد أن أول ما أنزل الله من القرآن بمكة:﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ العلق: ٣ ثم: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ۝١ ﴾ القلم: ١ثم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ المزمل: ١ ثم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ المدثر: ١ ثم: {الفاتحة} ثم: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ ﴾ المسد: ١﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ ﴾ التكوير: ١ ثم:

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ الأعلى: ١ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ الفجر: ١ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ الشرح: ١ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ الضحى: ١ [١]

وقد اعتمد البرهان الجعبري على هذا الأثر في قصيدته التي سماها تقريب المأمول في ترتيب النزول فقال:

مكيها ست ثمانون اعتلت نُظِمَت على وفق النزول لمن تلا
اقــرأ ونون مزمل مدثــر والحمد تبت كُوِّرَتْ الأعلى علا [٢]

ولا شك أن هناك حكمة إلهية في نزول هذه السور خاصة في بداية الوحي وبالتالي في بداية الرسالة، ولا شك أن لها تناسبا مع الإطار العام لهذه المرحلة.

الثاني: من حيث سبب نزولها حيث يشير إلى مرحلة من مراحل الرسالة، تلك المرحلة التي كان يثير فيها المشركون إشكاليات عدة تتعلق بالوحي الإلهي، فعن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندبا يقول: "اشتكى النبي –صلى الله عليه وسلم– فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ الضحى: ١ - ٣[٣]

وفي رواية للإمام مسلم: "أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المشركون: قد ودع محمد، فأنزل الله عز وجل:﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ الضحى: ١ - ٣[٤]

---

(١)عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) .*الإتقان في علوم القرآن*. تح : محمد أبي الفضل إبراهيم. (الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م)، جـ١، صـ٩٦

(٢) المرجع السابق، جـ١، صـ٩٧

(٣)محمد بن اسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ). *صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح*. تح: محمد زهير بن ناصر. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.ط١. (دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ)، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل جـ٦، صـ١٨٢، رقم ٤٩٨٣،

(٤)مسلم بن الحجاج النيسابوري.(ت:٢٦١هـ). *صحيح مسلم = المسند الصحيح* . تح: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار احياء التراث العربي)، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين جـ٣، صـ١٤٢١، رقم ١٧٩٧)

وقد بين الحافظ ابن حجر اسم المرأة التي قالت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فذكر أن المرأة التي ورد ذكرها في الحديث الذي رواه سفيان والتي قالت عبارة "شيطانك" هي أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبي لهب كما روى الحاكم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال: "قالت امرأة أبي لهب لما مكث النبي صلى الله عليه وسلم أيامًا لم ينزل عليه الوحي يا محمد: ما أرى شيطانك إلا قد قلاك، فنزلت والضحى." (١)

وبيان اسم هذه المرأة وكونها امرأة أبي لهب يعطينا دلالة على أنه لم يكن قولا عارضا من امرأة مغمورة ؛ لأن القرآن ذكرها في موضع آخر يتعلق بالخطاب الديني ومساره وهو قوله تعالى﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾ المسد: ٤ – ٥، ويعطينا دلالة كذلك على أهمية الرد على هذه الشبهة الملقاة لأنها لا تتعلق بقضية ما من قضايا الإسلام بل إنها تتعلق بأمر النبوة ذاتها ونزول الملك من أساسه.

إن نزول هذه السورة يعطي القائمين بالخطاب الديني إشارة إلى ضرورة تقدير خطورة كل شبهة، والتمييز بين الشبه المحورية التي يترتب على تصديقها هدم الرسالة من أساسها وتلك التي تحوم حول قضية ما من قضاياها، فرغم وجوب التصدي لكل شبهة إلا أن الوعي بالوزن النسبي لكل منها يحدد أولويات الخطاب الديني تجاهها ومنهجيته.

الثالث: من حيث مقصودها فالمتدبر لمقصد هذه السورة الأصلي يدرك تمام الإدراك موقعها من تأسيس الخطاب الديني حيث إنه كان من مقاصد هذه السورة تثبيت الفؤاد النبوي، حيث جاءت هذه السورة تحمل له صلى الله عليه وسلم أجمل بشرى، وتلقي في نفسه السكينة، وتعدد نعم الله عليه، وكأن الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: إن الذي أنعم عليك بنعمة كذا وكذا ما كان ليتركك وينساك بعد

(١)ابن حجر أحمد بن علي.(تـ ٨٥٢هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ–١٩٦٠م)، جـ٣، صـ٩)

أن أعدك لتحمل أمانته وهيأك للاضطلاع بأعباء الرسالة التي أرسلك بها، فلا تحزن بسبب ما كان من فترة للوحي، ولا يكن حرج منها في صدرك، فليس ذلك سوى ليثبت قلبك وتقوى نفسك لتحمل مشاق الرسالة.(١)

إن معنى هذا أن سورة الضحى كانت إحدى مسارات التثبيت الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم حيث سار هذا التثبيت ملائما لطبيعة كل مرحلة من مراحل بيان الرسالة، ففي مرحلة كان السياق يتعلق بنزول الوحي فجاء التثبيت الإلهي متعلقًا بذلك، وحين كان السياق متعلقا بتثبيته صلى الله عليه وسلم في مواجهة محاولة المشركين التنقيص من مقامه بسبب موت أبنائه الذكور جاء التثبيت بذكر المفهوم الحقيقي لمصلح الأبتر وأنه المقطوع خيره، أما هو صلى الله عليه وسلم فخيره متصل وعطاء الله له لا نظير له، وحين كان السياق يتعلق بمواصلة طريقه في بيان الرسالة بعد انسداد ظاهري في أفق قبولها في ذهابه للطائف جاء التثبيت الإلهي بالإسراء والمعراج.

ومما يشير إلى هذا المقصد وضع البخاري للحديث السابق "اشتكى النبي – صلى الله عليه وسلم– فلم يقم ليلة أو ليلتين...إلخ الحديث) تحت باب (كَيْفَ نَزَلَ الْوَحْيُ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ)

وقد علَّق ابن بطال على هذا الحديث مبينا أنه يأتي ضمن أدلة إثبات الوحي ونزول جبريل به على النبي صلى الله عليه وسلم.(٢)

وعلَّق ابن كثير على المناسبة بين هذا الحديث وفضائل القرآن فقال: "والمناسبة فى ذكر هذا الحديث فى فضائل القرآن، أن الله تعالى له برسوله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عناية عظيمة ومحبة شديدة، حيث جعل الوحى متتابعًا عليه ولم

(١) ينظر: احمد مصطفى المراغي. (ت ١٣٧١هـ). *تفسير المراغي*.ط١. (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٦٥هـ_١٩٤٦م)، جـ٣٠، صـ١٨٣

(٢) ينظر: علي بن خلف ابن بطال .(ت:٤٤٩هـ). *شرح صحيح البخاري*. تح: أبي تميم ياسر بن إبراهيم. ط٢. (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م)، جـ١٠، ٢١٦

يقطعه عنه، ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرَّقًا ليكون ذلك أبلغ في العناية والإكرام."[١]

الرابع: أن سورة الضحى أشارت إلى الارتباط بين حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعد النبوة مما يعطي توجيهًا لعدم الفصل الكامل بين الحياتين، وهذا من إحدى الإشارات التي جعلت كتب السيرة لا تبدأ الحياة النبوية من البعثة، وإنما عرَّجت على تلك الحياة الكريمة قبل البعثة ؛ لأن لتلك الحياة مدخلًا في فهم طبيعة الرسالة ذاتها.

الخامس: أن السورة وإن كانت خطابًا للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أنها تأتي في سياق التأسيس العام للمنهج النبوي في بيان الرسالة.

يقول الغرناطي: "حملت خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ الضحى: ٥، وأعقب ذلك بقوله:﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ الضحى: ٩ - ١٠ فقد آويتك قبل تعرضك وأعطيتك قبل سؤالك، فلا تقابله بقهر من تعرض وقهر من سأل، وقد حاشاه سبحانه عما نهاه عنه، ولكنه تذكير بالنعم، وليستوضح الطريق من وفق من أمته – صلى الله عليه وسلم –، أما هو صلى الله عليه وسلم – فحسبك من تعرف رحمته ورفعه قوله: "وكان بالمؤمنين رحيما".[٢]

إن الغرناطي يشير إلى قضية محورية وهي أن الخطاب الإلهي للرسل والأنبياء ذو بعد تأصيلي للخطاب الديني، وحين نستحضر هذا الأصل نمتلك وجهًا من أوجه الترجيح بين ما ذكره المفسرون في تفسير آيات القصص القرآني.

---

(١)إسماعيل بن عمر ابن كثير. (تـــ ٧٧٤هـــ). *فضائل القرآن*.ط١. (مكتبة ابن تيمية ، ١٤١٦هـــ)، صـــ٥٠

(٢)ابن الزبير الغرناطي أحمد بن إبراهيم (ت: ٧٠٨هـــ). *البرهان فى تناسب سور القرآن*. تح: محمد شعباني. (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٩٠م)، صـــ٣٦٦

المطلب الثاني: الخطاب الديني في سورة الضحى والرؤية الإسلامية للكون

مثَّلت النظرة إلى الكون إحدى أبرز القضايا الفكرية التي تعددت إزاءها الرؤى وتنوعت في بحثها الفلسفات حتى كان التوصل إلى العناصر الأولى للكون مثارًا لاختلاف المدارس الفلسفية إبان نشأة الفلسفة، وقد كان السبب في تعدد هذه الرؤى اعتمادها المطلق على مصدرية العقل البشري في النظرة إلى الكون، وحين مثَّلت النظرة إلى الكون هذه الأهمية كان للإسلام رؤيته المتكاملة النابعة من مصدريه القرآن والسنة حيث تأسست معالم هذه النظرة في العديد من النصوص القرآنية والنبوية، وكان من مسارات تأسيس هذه الرؤية الربط بينها وبين مسار الخطاب الديني من خلال قصص الأنبياء والمرسلين والتي كان الحديث عن الكون وعرض مظاهر القدرة الإلهية فيه والاستدلال على وحدانية الله تعالى قاسمًا مشتركًا في دعوات العديد من الرسل والأنبياء، وتنوعت مسالك الحديث عن الكون في هذه الدعوات ما بين بيان لمخلوقيته وتأسيس لمفهوم التسخير وإيضاح لأوجه الاستدلال به على القضايا العقدية من الوحدانية والبعث وغيرهما.

لقد رأينا الرازي يبين أن القرآن الكريم ذكر في آية واحدة ثمانية دلائل تتعلق بالأمور العقدية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ البقرة: ١٦٤

قال الرازي: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يُستدل بها على وجوده سبحانه أولا وعلى توحيده وبراءته على الأضداد والأنداد ثانيا." (١)

(١) فخر الدين الرازي. *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*. ط:٣. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، جـ٤، صـ١٥٢

إن الملاحَظ حقا أن الآيات الكونية المنتشرة في القرآن جميعه لا تأتي سوى في مجال العرض لمسألة من مسائل العقيدة أو الاستدلال عليها، فهي لا تأتي مفردة مستقلة، ومن يدرس قضية التوحيد في ثنايا القرآن الكريم أو يتدبر قضية الوحي والرسالة والنبوة والبعث يقف على هذا.(١)

وحين مثلت سورة الضحى إحدى مواضع التأسيس المنهجي للخطاب الديني رأيناها قد أشارت إلى القضية الكونية من خلال ما يلي:

الأمر الأول: القَسَم الإلهي في أول السورة ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ الضحى: ١ - ٢

إن تأكيد الموعود الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن طريق القَسَم بمظهر من مظاهر الكون يعطي دلالة على تجذر العلاقة بين التأسيس القرآني للخطاب الديني والوعي بالقضايا الكونية

" القَسَم بها إشارة إلى الأسرار العظيمة التي وضعها الله في تلك الأمور التي أقسم بها. حتى صح أن يكون مقسما بها. وتلك الأسرار لا يدركها إلا اللبيب لأنها غير مشروحة ولا مفسرة في القرآن الكريم فلا يفهمها إلا من كمل عقله وسلم ذوقه."(٢)

وقد رجح الطبري أن المراد بالضحى هنا النهار كله، ونقل أقوالًا أخرى مثل أن المراد به وقت من الأوقات وهو وقت الضحى خاصة كما قال قتادة.(٣)

وذكر القرطبي ما رجحه الطبري، واستدل له أيضًا بما جاء في سورة (الأعراف) من المقابلة بين البيات والضحى في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن

(١) ينظر: محمد عبد الله الشرقاوي. *القرآن والكون*. (مكتبة الزهراء)، صـــ٢٧

(٢)محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت١٣٦٧هـــ). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. ط٣. (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه)، جـــ١، صـــ٢٣٣

(٣)محمد بن جرير الطبري. (تـــ ٣١٠هـــ). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري*. تح: أحمد شاكر. ط١. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـــ- ٢٠٠٠م)، جـــ٢٤، ٤٨٢

يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأعراف: ٩٧ - ٩٨ [١]

وأما معنى "سجى" في قسمه تعالى بالليل فنقل الطبري عدة أقوال منها أن معناه أقبل بظلامه، وقيل ذهب، وقيل إذا استوى وسكن، ثم قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكناً. [٢]

وأيا كان المعنى المختار من الأقوال السابقة هو المراد، فإن الدلالة التي تجتمع عليها أن الآيتين تخبران عن عِظَم الكون وما فيه من المنافع، وتجعل من الإخبار عن عدم ترك الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مقسما عليه.

الأمر الثاني: أشارت السورة إلى سنة التقابل باعتبارها إحدى السنن التي أصلها القرآن في مواضع عدة وهي تقابل الليل والنهار ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ الضحى: ١ – ٢، وقد أسس القرآن الكريم لهذه السنة في العديد من الآيات كقوله تعالى في مفتتح سورة الشمس: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾ الشمس: ١ - ٤

" النهار والقمر والضحى كلها أنوار، تقابل الظلام الذي يسود الليل، في تصوير قرآني يجمع بين النسق والتلاؤم والتوازن وبديع خلق الله وصنعه." [٣]

وكالتقابل بين الحياة والموت في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ الملك: ٢، وقوله تعالى مشيرا إلى التقابل بين الشمس ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يس: ٤٠

---

(١)محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١ هـ). *الجامع لأحكام القرآن*. تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤م)، جـ٢٠، صـ٩١

(٢) الطبري، جامع البيان ، جـ٢٤، صـ٤٨٤

(٣)علي صبح. *التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية*. (المكتبة الأزهرية للتراث)، صـ١٢٣

إن هذا التقابل يعطينا دلالة على أن في الكون أسرارا عدة تتعلق بطبيعة سيره وذكر هذا التقابل يكون عقلية متدبرة للفوارق بين الأشياء.

"لقد أقام الله تعالى هذا الكون على قانون ونظام يحكمه ابتداء من خلقه إلى نهايته، وإن هناك تناسقا بين النواميس التي تحكم الكون كله بما فيه هذا المخلوق – الإنسان – وقواه وطاقاته كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس." (١)

الأمر الثالث: اجتهد المفسرون في ربط كل من سياقي الخطاب الديني والقضايا الكونية في السورة من خلال البحث عن وجه للعلاقة بين الضحى والليل من ناحية ومراحل بيان الرسالة من ناحية أخرى، ومن تلك الاجتهادات ما قاله قتادة وغيره: "أقسم بالضحى الذي كلم الله فيه موسى، وبليلة المعراج." (٢)

إن معنى هذا أن القسم بالظواهر الكونية يأتي منسجمًا مع الإشارة إلى مناسبات تتعلق بالقضايا الدينية.

قال الرازي: ما الحكمة هاهنا في الحلف بالضحى والليل فقط؟ والجواب: لوجوه أحدها: كأنه تعالى يقول: الزمان ساعة، فساعة ساعة ليل، وساعة نهار، ثم يزداد فمرة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار، ومرة بالعكس فلا تكون الزيادة لهوى ولا النقصان لقلى بل للحكمة، كذا الرسالة وإنزال الوحي بحسب المصالح، فمرة إنزال ومرة حبس، فلا كان الإنزال عن هوى، ولا كان الحبس عن قلى.(٣)

وأشار ابن عاشور إلى المناسبة بين ذكر هذه الأمور الكونية وهداية الخلق فقال: "ومناسبة القسم بالضحى والليل أن الضحى وقت انبثاق نور الشمس، فهو إيماء إلى تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به، وأن الليل وقت قيام النبيء صلى الله عليه وسلم بالقرآن، وهو الوقت الذي كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوتهم

(١)إسماعيل محمد قرني. *الكون في القرآن الكريم دراسة مقارنة*. (دار دجلة)، صـــ١٠٠

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن جـــ٢٠صـــ٩١

(٣) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـــ٣١ صـــ١٩١

القريبة من بيته أو من المسجد الحرام، ولذلك قيَّد الليل بظرف "إذا سجى"، فلعلَّ ذلك وقت قيام النبيء صلى الله عليه وسلم."[١]

وقد كان هذا الربط القرآني في سورة الضحى صورة من الصور التي عرضتها لنا السنة النبوية أيضا، وذلك في حديثها عن أشراط الساعة حيث رأينا نوعين من المضامين المضمون الكوني والمضمون الديني، فمن أشراط الساعة المتعلقة بالمضمون الديني قوله صلى الله عليه وسلم: " إن من أشراط الساعة: أن يرُفع العلم ويثبت الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا." [٢]

فهذا الحديث يشير إلى حالة من أحوال التغير الإنساني تجاه الهداية الإلهية، ومن أشراط الساعة المتعلقة بالإطار الكوني ما جاء عن حذيفة بن أسيد قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، والدابة، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس، فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا. "[٣]

الأمر الرابع: تمثل قضية الوحي في حد ذاتها والتي كانت المقصد الأساسي لسورة الضحى إحدى الدلائل على ما بينه الإسلام في حقيقة الكون حيث يمثل الوحي دليلًا على أن الكون ليس ذا إطار آلي بل هو خاضع لإرادة الخالق، فإذا أراد أن تجري بعض الحوادث على وفق سنن أخرى غير ما جرت عليه العادة في هذا الكون وقع ما أراده تعالى؛ حتى الوحي لا يتنزل إلا بأمره تعالى، وقد أتى التأكيد على هذا المعنى في حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور. (ت:١٣٩٣ هـ). *التحرير والتنوير* . (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، جـ٣٠ صـ٣٩٥

(٢) البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، جـ١، صـ٢٧، رقم ٨٠

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، جـ٣٠ صـ٣٩٥

وسلم لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴿٦٤﴾ ﴾ مريم: ٦٤ (١)

ومما يأتي في نفس السياق ما ذكره بعض العلماء منهم ابن إسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها، ودنا إليه وتدلى منهبطا عليه وهو بالأبطح فأوحى إلى عبده ما أوحى.(٢)

إن مجيء جبريل عليه السلام بصورته التي خُلق عليها يعطي إشارة إلى عظم الخلق الإلهي وتنوع سننه، وحين تأتي هذه الإشارة مع تنزل سورة الضحى تتضح لنا العلاقة بين السياقين الديني والفكري للسورة. وحين بيَّن العلماء إمكان الوحي لجأوا إلى الإطار الكوني ذاته ليأخذوا منه دلائل على طلاقة القدرة الإلهية.

وقد تحدث دراز عن قضية الوحي، وذكر أن المنكرين تعجبوا من أن يكون هناك إنسان يرى ملائكة عيانا ويكلمهم جهرة، بل تعجبوا من أن يكون خَلْقٌ في الدنيا لا يرونه بأبصارهم وصوت لا يتوصلون إلى سماعه بآذانهم، فقالوا: كيف يبصر محمد ما لا نبصر وكيف يسمع ما لا قدرة لنا على سماعه، ولعمري لنحن الأحق بالعجب من عجبهم حيث إننا ندرك أنه لو تأتى مثله من مشركي قريش ما كان يتأتى اليوم وقد امتلأت الأرض بالبراهين العلمية التي توضح لعقولنا تلك الحقائق الواقعة ضمن إطار الغيب، وإن من أوضح هذه الآلات آية الهاتف حيث

---

(١) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا} [مريم: ٦٤]، جـ٦، صـ٩٦، رقم ٤٧٣١

(٢)أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي. (ت: ٢٧٩هـ) *سنن الترمذي*. تح: أحمد محمد شاكر وآخرين .ط٢. (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م)، جـ٤، صـ٤٧٧، رقم ٢١٨٣

أضحى الرجلان يكون أحدهما في أقصى الشرق والآخر في أقصى الغرب ثم يقع بينهما التخاطب والترائي ولا يرى من يجلس في مجلس التخاطب شيئا.(١)

وأعطانا الطيبي مناسبة أخرى تستحضر العلاقة بين الظواهر الكونية والتكاليف الشرعية التي أتى بها الوحي الإلهي، فذكر أنه تعالى أقسم لنبيه صلى الله عليه وسلم بوقتين تقع فيهما صلاته صلى الله عليه وسلم والتي جُعِلت قرة عينه والسبب في مزيد قربه وأنسه، أما بخصوص الضحى فلما رواه الدارقطني في المجتبى عن ابن عباس مرفوعا: «كتب عليّ النحر ولم يكتب عليكم، وأُمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها».

وأما الليل فلقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء: ٧٩ إرغاما لأعدائه وتكذيبا لهم في زعم قلاه وجفائه، فكأنه قيل: وحق قربك لدينا وزلفاك عندنا إنّا اصطفيناك ما هجرناك وقليناك. (٢)

رابعا: يأتي الانسجام بين الحديث عن قضية الوحي والإطار الكوني ليعطينا دلالة على أن وحي الله لرسوله صلى الله عليه وسلم له من الكمال والتمام ما للسنن الكونية، فكما أن الليل والنهار يسيران على سنة الكمال والتمام فكذلك الوحي الإلهي يسير على حكمة كبرى.

وقد قرر ابن القيم هذا المعنى حين ذكر أن من فلق ظلام الليل عن ضياء النهار هو من فلق ظلام الشرك والجهل بأنوار الوحي والنبوة، فاثنان للحس واثنان للعقل، كما أن من اقتضت رحمته عدم ترك عباده في ظلام الليل سرمدا إنما هداهم بضياء النهار إلى معايشهم ومصالحهم لا يليق به أن يدعهم في ظلام الغي والجهل

---

(١) ينظر: محمد بن عبد الله دراز. *النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*. اعتنى به: عبد الحميد الدخاخني. ط١. (دار طيبه، ١٩٩٤م)، صـــ٩٤

(٢)محمود بن عبد الله الالوسي.(ت ١٢٧٠هـــ). تفسير *الالوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تح: علي عبد الباري عطية. ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـــ)،
جـــ١٥صـــ٣٧٤

بل إنه يهديهم بأنوار الوحي والنبوة لمصالح الدنيا والآخرة، ثم دعانا ابن القيم إلى التأمل في حسن الارتباط بين المقسم به والمقسم عليه، والتدبر في الجزالة والرونق الموجود على هذه الألفاظ والجلالة التي تكسو معانيها. (١)

وذكر البقاعي أنه لما تم الحكم في ختام سورة الليل بالسعادة للأتقياء، وكان صلى الله عليه وسلم أتقى خلق الله مطلقًا، وكان قد انقطع عنه الوحي بعضًا من الزمن من باب الابتلاء، وكان صلاح أمر الدين والدنيا والآخرة به صلى الله عليه وسلم، وكان الليل والنهار سببًا في صلاح معايش الخلق وكثير من معادهم أقسم تعالى بهما على كونه صلى الله عليه وسلم أسعد الخلائق دنيا وأخرى.(٢)

إن هذه الإشارة تفيد ضرورة الاقتران بين تدبر الآيات الكونية وما تحويه من دلالات التسخير وتدبر الآيات التي تؤصل للخطاب الديني وما تحويه من دلالات الهداية.

خامسا: أن الإشارة إلى أمور محسوسة في تأصيل مفهوم الخطاب الديني وأسسه وربطه بإطار كوني يشير إلى مكانة الحواس في البناء المعرفي تلك المكانة التي انتقص منها الغلو في اعتماد النظر العقلي المجرد، وهذه الإشارة تلاها ما يدعمها ويجعلها مبدأ من مبادئ المنهج المعرفي في الإسلام، وانطلقت من خلال ذلك مسيرة فريدة من استعمال المنهج التجريبي الذي تطورت من خلاله المعارف في ضوء الحضارة الإسلامية.

---

(١) ينظر: ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الجوزية. (تـــ ٧٥١هـــ). *التبيان في أقسام القرآن*. تح: محمد زهري النجار . (الرياض: المؤسسة السعدية)، جـــ١، صـــ١٥٨.

(٢) ينظر: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي.(ت: ٨٨٥ هـــ). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. تح: عبدالرزاق غالب مهدي.ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـــ -١٩٩٥م)، جـــ٨، صـــ٤٥٢.

إن هذه السنن هي التي يطلق عليها العلماء اسم القوانين أو الحقائق أو العلائق العلمية، وهي التي دعا الخالق سبحانه الإنسان كي ينظر في أرجاء الكون وأمدائه وأنحائه وآفاقه. (١)

إن الخطاب الديني الذي ينطلق من وعي بالقضايا الكونية خطاب يستطيع أن يبرهن على اتساق آيات الله المسطورة مع آياته المنظورة فيدحض فرية التعارض بينهما، تلك الفرية التي تتمخض عن نظرة مبتورة لمعطيات العلوم الطبيعية مع قناعة مسبقة بأن قضية الوحي أسطورة من الأساطير أو نشأت من اجتهادات في تفسير بعض الآيات الكونية جاء في ضوء المعارف الكونية في العصور السابقة.

إن الخطاب الديني مطالب بأن يبين حقيقة الاجتهادات المتعلقة بالآيات الكونية وموقعها من تقدم المعارف في هذا العصر حتى لا يحمل النص القرآني على أوجه تعارض حقيقة من الحقائق العلمية.

ومن أدوار الخطاب الديني في هذا الصدد كذلك توظيف معطيات المعارف الكونية توظيفا منضبطا خاصة وأن هناك الكثير من أوجه العلاقة بين التكاليف الشرعية والمناسبات الدينية من ناحية والقضايا الكونية من ناحية أخرى، وعلى سبيل المثال تمثل خطبة الكسوف والخسوف أنموذجا على إمكانية توظيف الخطاب الديني للمعارف الكونية في ثوبها العصري.

وحين نطالع تاريخ القائمين على هداية الخلق عبر التاريخ الإسلامي نجد تفاعلهم مع حدوث الآيات الكونية اقتداء بصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، ومن أمثلة ذلك ما فعله الحافظ ابن حجر حين حدث كسوف لشمس قبل الزوال فتجمع الناس وصلى بهم الحافظ صلاة الكسوف بعد صلاة الظهر ثم صعد المنبر وأتى بصنوف التذكير والوعظ. (٢)

---

(١)الشرقاوي، القرآن والكون، صـــ٧

(٢)أحمد بن علي المقريزي.(ت: ٨٤٥هـــ). *السلوك لمعرفة دول الملوك*. تح: محمد عبد القادر عطا.ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٨هـــ- ١٩٩٧م)، جـــ٦، صـــ٤٩٢

كذلك من أدوار الخطاب الديني الكشف عن زيف الخرافات المتعلقة بالكون والتي تتراكم كموروث ثقافي، وقد أصل صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم لهذا الدور، فعن المغيرة بن شعبة، قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا، وادعوا الله.»(١)

قد يستدل بهذا الحديث استدلالا فقهيا فيما يتعلق بصلاة الكسوف والأحكام المتعلقة بها، لكنه أيضا يمكن أن يكون دليلًا على ارتباط الأمور التكليفية بالإطار الكوني.

لقد بينت النقاط السابقة أن سورة الضحى مثلت أنموذجًا عظيمًا لتأسيس المنهج القرآني للعلاقة المتجذرة بين الخطاب الديني والرؤية الإسلامية لقضايا الكون، وأن هذا التأسيس يُلقي مسؤولية على تتمثل في البحث عن أطر العلاقة المعاصرة بين كل من الإطارين الديني والكوني.

المطلب الثالث: الخطاب الديني في سورة الضحى والقضايا الإنسانية

أولا: تقرير الحاجة الإنسانية إلى الوحي الإلهي

إن أول مسار للعلاقة بين الخطاب الديني والقضايا الإنسانية من خلال سورة الضحى تقريرها أن الوحي حاجة إنسانية؛ حيث يمثل الهدى الإلهي لهذا الإنسان، وبالرغم من أن قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ الضحى: ٣ يأتي في سياق التكريم الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه يمثل كذلك تكريما إنسانيا عاما من حيث تنزل الهداية الإلهية التي كانت البشرية كلها في أمس الحاجة إليها.

إن من مفردات تلك الحاجة ما عبر عنه جعفر بن أبي طالب في حديثه للنجاشي حين قال له: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة،

(١) أخرجه البخاري، أبواب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، جـ٢، صـ٣٤، رقم ١٠٤٣

ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام– قالت: فعدد عليه أمور الإسلام– فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا." [١]

إن كلام جعفر رضي الله عنه يترك لنا العديد من الدلالات منها:

١. أن البعد الإنساني بعد محوري في بعثة الأنبياء والرسل.
٢. أن هذا البعد الإنساني تظهر ملامحه عند التدبر في الفارق بين الحالة الإنسانية قبل بعثة الأنبياء وبعدها، فبهذا التدبر تظهر الحاجة الإنسانية لهذه البعثة، وهذا يوجب أن تكون دراسة هذه الحالة الإنسانية جزءا لا يتجزأ من الدراسة العامة للتاريخ الإنساني.
٣. أن الحاجة الإنسانية لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن منحصرة في إطار أحادي عقديا كان أو اجتماعيا أو خلقيا، بل تعددت دوائرها وتشعبت مفرداتها، وذلك يوقفنا على حكمة كون هذه البعثة هي البعثة الخاتمة.
٤. أن اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم كان اتباعًا لما جاء به من عند الله ، أي :اتباعًا للوحي الإلهي، ومن هنا فإن تدبرنا للوحي الإلهي يعني في الوقت ذاته تدبرنا للحياة الإنسانية.

---

(١)عبد الملك ابن هشام . (ت: ٢١٣هـ). *السيرة النبوية* . تح: مصطفى السقا وآخرين .ط٢. (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م)، جـ١، صـ٣٣٦

إن المآسي الإنسانية التي ذكرها جعفر قد جاء الوحي الإلهي شفاء لها؛ لذا فحين يبين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم عدم انقطاع الوحي فإنه يبين أيضا عدم انقطاع الهداية الإلهية لهذا الإنسان.

ويقرر دراز أن هناك فرقا عظيما بين الوحي النبوي وما يوحيه بعض الناس لبعض، فوحي الناس قد يكون زخرفا من القول وغرورا وما أكثر ما ترك ما أوحوه في نفس من تلقاه أعراضا بدنية أو عقلية من الصعب علاجها، فهل يمكن أن يقاس هذا بالوحي الذي يكون بين رسولين مؤيدين قد اصطفاهما تعالى لرسالته رسول من الملائكة ورسول من البشر؟

أما الرسول من الملائكة فإنه لا يوحي إلا حقا، ولا يأمر إلا بخير، وأما الرسول من البشر فهو لا يزال على ما كان عليه من قبل كاملًا في عقله ثابتًا في فؤآده قويا في نفسه وبدنه ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴿١٢٤﴾﴾ الأنعام: ١٢٤ [١]

وكان استحضار عِظَم النعمة الإلهية في نزول الوحي واضحًا لدى الصحابة رضي الله عنهم، ومن الشواهد على ذلك ما جاء عن أنس ابن مالك، أن أم أيمن بكت حين مات رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقيل لها: أتبكين؟ فقالت: وإني والله قد علمت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سيموت، ولكن إنما أبكي على الوحي الذي قد انقطع عنا من السماء. [٢]

وقد ذكر ابن القيم أن النعمة المأمور بالتحدث بها في قوله تعالى في آخر سورة الضحى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ الضحى: ١١هي إيصال رسالته وبيانها،

(١) ينظر: دراز، النبأ العظيم، صـــ٩٥

(٢)يعقوب بن إسحاق أبو عوانه. مستخرج *أبي عوانه*. تح: أيمن بن عارف الدمشقي.ط١. (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م)، كتاب المناقب، مناقب أم أيمن رضي الله عنها، جـــ١٨، صـــ٦٥٣

وتعليم الأمة. قال مجاهد: هي النبوة. وقال الزجاج: أي بلغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي آتاك الله. وقال الكلبي: هو القرآن. أمره أن يقرأه. (١)

ثانيا: الخطاب الديني والطبيعة البشرية

لقد كان البحث في الطبيعة البشرية إحدى المفردات الفكرية التي تناولها أرباب المجالات المعرفية المختلفة، وكان من دلالات سورة الضحى الكشف عن الطبيعة البشرية وما يعتريها، ومن ذلك ما يلي:

١ ــ حاجة النفس الإنسانية إلى رد الادعاءات التي تطالها لما لذلك من أثر نفسي، فالنبي صلى الله عليه وسلم تعرض لصورة من صور الأذى المعنوي من قول المرأة المشركة، فعن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندبا، يقول: " اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقم ليلة – أو ليلتين – فأتته امرأة، فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ الضحى: ١ - ٣(٢)

وأعطانا الألوسي إشارة إلى أن حزن النبي صلى الله عليه وسلم كان راجعًا إلى الطبيعة البشرية، وذلك بسبب تعيير المشركين له وعدم رؤيته لجبريل عليه السلام مع مزيد حبه له (٣) .

٢ ــ أشار بعض العلماء إلى أن حكمة انقطاع الوحي في الجملة ترجع إلى الطبيعة البشرية حيث قال الحافظ ابن حجر: "ليطمئن قلبه، ويشتاق إلى الرحمن، ويحن إلى عودته إليه". (٤)

---

(١)ابن القيم محمد بن أبي بكر الجوزية. (تـــ ٧٥١هـــ). *مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين*. تح: محمد البغدادي. (بيروت: ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٦ هـــ – ١٩٩٦م)، جـــ٢، صـــ٢٣٩

(٢) اخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، جـــ٦، صـــ١٨٢، رقم ٤٩٨٣

(٣) ينظر: الالوسي، روح المعاني ، جـــ١٥صـــ٣٧٧

(٤)حمزه محمد قاسم . *منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري*. (دمشق– الطائف: مكتبة دار البيان– مكتبة المؤيد، ١٤١٠ هـــ – ١٩٩٠م)، جـــ١، صـــ٤٩

إنه تعالى: "آنس أحب عباده إليه وأعظم منزلة لديه، وذكر له ما منحه من تقريبه واجتبائه، وجمع خير الدارين له فقال: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ ﴾ الضحى: ١ - ٤[1]

إن مراعاة الطبيعة البشرية في الآيات التي تؤسس للخطاب الديني كان إحدى الموارد التي فتحت آفاقا معرفية عظيمة في تراثنا الإسلامي اختصت تلك الآفاق بدراسة النفس الإنسانية من جوانبها المختلفة، فأنتجت تراثًا معرفيا ضخمًا امتد قروناً طويلة من حيث الظرف الزماني وتراكم كما وكيفا.

ثالثا: الخطاب الديني والعلاقات الإنسانية

لقد كان ضمن الإطار الإنساني الذي أسسته سورة الضحى دور الخطاب الديني في توجيه العلاقات الإنسانية، وذلك من خلال:

١ – مراعاة حالة اليتم، حيث يمثل صورة من صور الضعف الإنساني، ذلك الضعف الذي يغري أصحاب النفوس المنحرفة باستغلاله؛ لذلك أتى التوجيه الإلهي بلفت الانتباه إلى هذه الحالة الإنسانية، وذلك في إطار التأسيس للخطاب الديني، وجاء حديث سورة الضحى عن اليتم في موضعين:

الأول: موضع الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ ﴾ الضحى: ٦ حيث إن والده صلى الله عليه وسلم مات وهو ما زال حملًا في بطن أمه، وقيل بعد مولده صلى الله عليه وسلم، ثم ماتت والدته آمنة بنت وهب وكان عمره ست سنوات، ثم أضحى في كفالة عبد المطلب جده حتى توفي وكان عمره ثمان سنين أضحى في كفالة عمه أبي طالب، ثم لم يزل تعالى ينصره ويحوطه ويوقره ويرفع من قدره ويدفع عنه أذى قومه بعد أن بعثه الله وهو على رأس الأربعين من عمره، وقد كان أبو طالب مستمرًا على دين قومه من عبادة الأصنام وذلك كله بقدره تعالى وحسن ما دبره. وحين مات أبو طالب وآذاه جهال قريش وسفهاؤهم اختار له تعالى أن يهاجر من بينهم إلى الأنصار من أوس

(١) الغرناطي، ، البرهان ، صـــ٣٦٧ .

وخزرج، فأجرى تعالى سنته على الوجه الأكمل الأتم، فلما أتاهم نصروه وآووه وكل ذلك من عناية الله به وحفظه له. (١)

وحين كان اليتم يمثل حالة إنسانية بحث العلماء عن الحكمة في أن يكون صاحب الرسالة الخاتمة يتيما، فجاء في تفسير الرازي:

إن قيل ما الحكمة في اختيار الله تعالى له اليتم؟ نقول فيه عدة وجوه:

أحدها: أن يدرك قدر الأيتام فيراعي حقهم وصلاح حالهم، ومما ورد في ذلك أن يوسف عليه السلام كان لا يشبع فيقال له في ذلك فقال أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع.

وثانيها: حتى يكون اليتيم مشاركًا في الاسم له فيُكرم من أجل ذلك.

وثالثها: أن الذي له أب أو أم يعتمد عليهما، فسُلب منه الوالدان كي لا يعتمد من بداية صباه حتى آخر عمره إلا على الله تعالى.

ورابعها: أن الله تعالى اختار له اليتم حتى يتأمل كل إنسان في أحواله ثم يجدوا منه عيبا فتتفق كلمتهم على نزاهته فإذا اختاره تعالى للرسالة لم يجدوا فيه مطعنا.

وخامسها: حتى يعلم الكل أن فضيلته تأتي من الله ابتداء فإن الذي له أب يسعى أباه في تأديبه وتعليمه.

وسادسها: أن كلا من الفقر واليتم يعد نقصًا بالنسبة للخلق، فلما صار محمد صلى الله عليه وسلم رغم هذين الوصفين أكرم خلق الله تعالى كان هذا قلبا للعادة ويعد من جنس المعجزات.(٢)

إذاً يُعَدُّ التوجيه الإلهي في سورة الضحى بمراعاة الضعف الإنساني بداية لتوجيهات متتالية مثلت إطارًا متكاملًا يجعل من تلك المراعاة إحدى الأدوار التي تقع على عاتق القائمين بالخطاب الديني.

---

(١) ينظر: إسماعيل بن عمر ابن كثير. (ت: ٧٧٤هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تح: سامي بن محمد سلامة.ط٢. (دار طيبة ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م)، جـ٨، صـ٤١٢

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، جـ٣١، صـ٢٠٠

الثاني: التوجيه للإحسان إلى اليتيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ ﴾ الضحى: ٩ فقد جاء عن مجاهد قال: تُغْمِصْه وَتحْقِره.(١)

وقال ابن كثير: أي كما كنت يتيمًا فآواك الله فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به، قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم.(٢)

وبيَّن العلماء خصوصية اليتم كحالة من الحالات الإنسانية التي خُصت بالتوجيه الإلهي فقال الجصاص: لأنه لا ناصر له غير الله، فغلظ في أمره لتغليظ العقوبة على ظالمه.(٣)

وذكر الكرخي أن تخصيصه بالذكر يدل على توكيد حرمته، وإيجاب حقه، وترك الاستهانة به.(٤)

ولم تكن تلك الإشارة التي تضمنتها سورة الضحى الوحيدة في المنهج القرآني بل رأينا ذلك في العديد من المواضع القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢ ﴾ الأنعام: ٥٢

لقد شكلت هذه الآية صورة من صور التوجيه الإلهي لصاحب الرسالة بأن يكون للضعفاء مكانتهم، فعن ابن مسعود، قال: مر الملأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم، من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية

---

(١) الطبري، جامع البيان ، جـ٢٤، صـ٤٨٩

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ٨صـ٤١٤

(٣)أحمد بن علي أبو بكر الجصاص، (ت: ٣٧٠ هـ). *احكام القرآن*. تح: محمد صادق (بيروت: دار إحياء التراث العربي١٤٠٥هـ)، جـ٣صـ٦٣٨

(٤)أحمد محمد بن علي القصاب .*النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام*.ط١. (دار القيم، دار ابن عفان،٢٠٠٣م، جـ٤صـ٥٣٤

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأنعام:٥٢ ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ٥٣ إلى آخر الآية. (١)

وكذلك آية سورة الكهف أكدت على نفس المعنى، وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨

قال ابن كثير: "يقال: إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم، وحده، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حدة، فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأنعام:٥٢ الآية، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء، فقال: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨(٢)

ولعِظَم هذه العلاقة رأيناها ممتدة حتى آخر أيام الرسالة، فعن أم سلمة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم» فما زال يقولها، حتى ما يفيض بها لسانه.(٣)

قال التوربشتي: أراد بما ملكت أيمانكم المماليك، وإنما جعله قرينا بالصلاة حتى يعلم أن القيام بقدر حاجتهم من الطعام والكسوة يجب على من يملكهم مثل وجوب الصلاة والتي لا سعة في عدم أدائها.(٤)

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٨صـ٤١٤

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٥، صـ١٣٧

(٣)ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني.(ت:٢٧٣هـ). *سنن ابن ماجه*. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار احياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي). كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، جـ١، صـ٥١٩، رقم ١٦٢٥

(٤) فضل الله بن حسن بن حسين التُّورِبِشْتي. *الميسر في شرح مصابيح السنة*. تح: عبد الحميد هنداوي.ط٢.(مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ)، جـ٣، صـ ٧٩١

وبعد أن ذكر التوربشتي تلك الأوجه ذكر وجهًا من اجتهاده ربط من خلاله بين هذا التوجيه النبوي ومرتكز التكريم الإلهي للإنسان فقال: "وأرى فيها وجها آخر، وهو أن المماليك خُصُّوا بالإضافة إلى الأيمان تنبيهًا على شرف الإنسان وكرامته، وتبيينا لفضله على سائر أنواع ما يقع عليه اسم الملك، وتمييزا له بلفظ اليمين عن جميع ما احتوته الأيدي واشتملت عليه الأملاك." (١)

ثالثا: الإشارة إلى تنوع المكونات الإنسانية

حين كان من معالم الرؤية الإسلامية للإنسان تنوع المكونات الإنسانية ما بين روح ومادة وعقل ووجدان رأينا سورة الضحى في تأسيسها للخطاب الديني تبرز هذا التنوع، وذلك من خلال ما يلي:

- اتخذ الامتنان الإلهي على النبي صلى الله عليه وسلم المسلكين المادي والمعنوي، فمن المعنوي قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ الضحى: ٧ قال النسفي: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ} أي غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة، (فهدى} فهداك إلى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين، وعلمك ما لم تكن تعلم.(٢)

ومن المادي قوله تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ الضحى: ٧ أي: كنت فقيرا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلى الله عليه وسلم. (٣)

وقال أبو السعود: {فأغنى} فأغناك بمال خديجة أو بمال حصل لك من ربح التجارة أو بمال أفاء عليك من الغنائم.(٤)

---

(١) المرجع السابق، جـ٣، صـ٧٩١

(٢)عبد الله بن أحمد النسفي. (ت: ٧١٠هـ). *تفسير النسفي =مدارك التنزيل*. تح: يوسف بديوي. ط١. (بيروت: دار الكلم الطيب. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، جـ٣صـ٦٥٤

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٨صـ٤١٢

(٤)العمادي محمد أبو السعود. (ت ٩٨٢هـ). *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم* . (بيروت : دار إحياء التراث العربي)، جـ٩، صـ١٧١

- ذكر ابن القيم أن التوجيه الإلهي في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ الضحى: ١٠

قد حمله أكثر المفسرين على الإطار المادي، وأن المراد هو سائل المعروف والصدقة أي لا تنهره إذا سألك، فقد كنت فقيراً فإما أن تطعمه وإما أن ترده رداً ليناً، ولكن بعض العلماء حمله على الإطار المعنوي حيث قال الحسن: أما إنه ليس بالسائل الذي يأتيك ولكن طالب العلم وهذا قول يحيى بن آدم قال إذا جاءك طالب العلم فلا تنهره ، واختار ابن القيم أنه يشمل الإطارين المادي والمعنوي فقال: والتحقيق أن الآية تتناول النوعين. (١)

- حين نتدبر السورة نرى أنها تشبع كلا من المكونين العقلي والوجداني، فمن إشباعها للمكون العقلي ذكرها للظواهر الكونية من الضحى والليل؛ حيث إن ذلك يفتح آفاق الملكة العقلية للتفكر والتدبر، ومن مخاطبتها للمكون الوجداني الامر بالإحسان إلى اليتيم والسائل.

لقد ذكر دراز أن النفس الإنسانية تحوي قوتين قوة وجدان وقوة تفكير، واحتياج كل منهما غير احتياج الأخرى، فأما القوة الوجدانية فينطبع من خلالها الإحساس بما في الأشياء من ألم ولذة، وأما قوة التفكير فتبحث عن الحق من أجل معرفته، وتبحث عن الخير من أجل العمل به، ويُعَدُّ البيان الكامل ذاك الذي يكمل لك الاحتياجين فيؤتي النفس حظها من متعة الوجدان وفائدة العقل معا.(٢)

إن سورة الضحى تمثل أنموذجًا للمنهج القرآني العام الذي يؤسس لنظرة متوازنة إلى كل من العقل والوجدان

(١) ينظر: ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، صـــ١٦٢

(٢)دراز، النبأ العظيم، صـــ١٤٨

يقول محمد يوسف موسى: لأن القرآن هداية للناس جميعا على اختلاف حظوظهم من العقل والقدرة على التفكير كان منه ما يتجه للقلب ليتفتح للموعظة، وكان منه ما يتجه للعقل ليذعن للمنطق والتدليل. (١)

- تعد سورة الضحى إحدى السور التي أوضحت لنا جوانب الحياة النبوية، تلك الحياة التي لا يمكن أن تُقرأ بعيدا عن سياق إنساني بمعنى تدبر مواطن الاقتداء بتلك الحياة المصوغة صياغة ربانية.

يقول محمد فريد وجدي: "نحن لا نكتب السيرة المحمدية الكريمة كتاريخ يُقرأ لتمضية الوقت ، ولا نود أن نجعله تسلية للنفوس في أوقات فراغها ، ولكنا نود درسها من وجهة فلسفية حيوية ، نتعلم منها ماهية الإنسان ، ومقدار ما وُهِب من ملكات ومواهب ، وكيف نسلك بأرواحنا سبل المطالب ، وكيف نأخذ نفوسنا بآداب الدنيا والدين ، ونجمع بينهما في مسلك واحد، ومن ذا الذي لا يرضى بأن يكون تابع أشرف روح برهنت على حقيقتها وفضيلتها ، وسلكت في الحياة كل السبل الممكنة ، وكانت في كل سبيل منها نوراً يعشو إلى ضوئها التائه ، وعلماً يهتدي به الخابط، وبزت في كل مجالة من مجالات المجهودات الإنسانية كل مزاحم، ونالت من مسالمة الوجود لها ، وموافقة مقتضياته لآمالها ، ما لم يبلغه حي قبلها ولا بعدها."(٢)

ومن أبرز جوانب السيرة النبوية التي كشفتها لنا سورة الضحى حماية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، فهذه الحماية الإلهية تفسر لنا "كيف نشأت هذه الروح على غير سنة الوسط الذي ولدت فيه، وكيف احتمت من مؤثرات ما يحيط بها من العادات والأخلاق، وكيف نجت من مشائن الغرائز التي كان يجب أن تنشأ فيها بطريق الوراثة. (٣)

---

(١) ينظر: محمد يوسف موسى . *القرآن والفلسفة*. (القاهرة: دار الكتاب المصري)، صـــ٦

(٢)محمد فريد وجدي .*الإسلام في عصر العلم*. ط٣. (بيروت: دار الكتاب العربي)، صـــ١٨٩، طـــ٣

(٣)وجدي، الإسلام في عصر العلم، طـــ٣، صـــ١٨٨

إن الخطاب الديني الذي ينطلق من وعي بالقضايا الإنسانية خطاب يستطيع أن يوسع من دائرة التعاطي الإنساني معه حيث سيكون خطابا متسقا مع فطرة الإنسان وطبيعته مصلحًا لمسارات العلاقة بين أفراده.

المطلب الرابع: الخطاب الديني في سورة الضحى والرؤية الإسلامية للحياة

لم يعرض القرآن الكريم قضية طبيعة الحياة على أنها مجرد تصور فكري عند الإنسان ليس له انعكاسات واقعية، بل حين نتدبر هذا الحديث نجد أن كثيرا من التصرفات الإنسانية إيجابية كانت أو سلبية ترجع للقناعات المتعلقة بطبيعة الحياة.

فالقناعة بأحادية الحياة وألا حياة وراء تلك الحياة التي يعيشها الإنسان تقف وراء العديد من التصرفات، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ الكهف: ٣٥ ـ ٣٦

وقد أتت سورة الضحى لتترك لنا إشارة واضحة إلى أساس الرؤية الإسلامية للحياة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ الضحى:٤، ويمكن أن نبين العلاقة بين تأسيس الخطاب الديني والرؤية الإسلامية للحياة في ضوء هذه الآية من خلال ما يلي:

أولا: أثبتت هذه الآية المباركة أن هناك حياة أخرى حيث كانت النظرة إلى الحياة إحدى ما ذكره القرآن الكريم في بيان ما كان عليه العرب قبل الإسلام، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ الجاثية: ٢٤

قال ابن عيينة كان أهل الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا، وهو الذي يحيينا ويميتنا، فنزلت هذه الآية. (١)

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن جـ١٦، صـ١٧٠

ثانيا: أن الحياة الآخرة خير لأوليائه تعالى من الأولى

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: وللدار الآخرة، وما أعد الله لك فيها، خير لك من الدار الدنيا وما فيها. يقول: فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها." (١)

وربط النسفي ربطًا مباشرًا بين سياق بيانه صلى الله عليه وسلم للرسالة والرؤية الإسلامية للحياة فقال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ الضحى: ٤ أي: ما جعله سبحانه لك في الدار الآخرة من مقام محمود وحوض مورود خير من الذي أعجبك في الحياة الدنيا، وقيل إن وجه تناسبه مع ما قبله أنه حين كان ضمن نفي القلى والتوديع أن الله تعالى مواصلك بوحيه وأنك حبيبه تعالى أخبره أن أمره في الآخرة أكبر من ذلك لسبقه الأنبياء وشهادة أمته صلى الله عليه وسلم على الأمم. (٢)

ثالثا: كانت هذه الآية ومثيلاتها توجيهًا إلهيا تحددت من خلاله الحياة النبوية؛ لذا ربط ابن كثير بين ما أسسته هذه الآية وبين مسلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة فذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهد الخلق في الدنيا وأكثرهم لها طرحًا كما هو معروف بالضرورة من وقائع سيرته صلى الله عليه وسلم

وحين خُيِّرَ صلى الله عليه وسلم في نهاية عمره بين أن يخلد في الدنيا إلى نهايتها ثم الجنة وبين أن يصير إلى الله تعالى اختار صلى الله عليه وسلم ما عنده تعالى على الدنيا.(٣)

إن هذا التوجيه الإلهي جاء ضمن الرؤية الإسلامية المتوازنة للعلاقة بين كل من الدنيا والآخرة، تلك العلاقة التي تتلخص في كون الدنيا سبيلا للآخرة.

رابعا: كانت هذه الآية القرآنية موردًا لاستنباط العلماء الفوارق بين طبيعة الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وممن استنبط هذا الفارق أبو السعود حيث ذكر أن تفضيل الآخرة على الدنيا يأتي لكون الآخرة هي الباقية ولكونها صافية عن أي من

---

(١) الطبري، جامع البيان ، جـ٢٤ صـ٤٨٧

(٢) ينظر: النسفي، جـ٣صـ٦٥٤

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٨، صـ٤١١

الشوائب والدنيا مشوبة بالمضار مع فنائها وإن الذي أوتيه صلى الله عليه وسلم من الشرف الحاصل بالنبوة رغم أنه لا يكافئه شرف ولا يقاربه فضل إلا أنه لا يخلو في هذه الدنيا من بعض العوارض فإنه تعالى أعد له صلى الله عليه وسلم في الآخرة من التقدم والسبق على كل أنبياء الله ورسله يوم القيامة وجعل أمته تشهد على كافة الأمم ورفعة درجات المؤمنين.(١)

إن الخطاب الديني الذي ينطلق من وعي بالحياة خطاب يستطيع أن يندمج في الحياة مع امتلاك رؤية تصحيحية لها من التكامل والشمول ما يمكنه من الوقوف أمام الرؤى المبتورة ومعطياتها.

خامسا: مثَّلت سورة الضحى تأسيسًا لسنة من سنن الحياة وهي تغير الأحوال؛ حيث عرضت لنا أحوالًا مختلفة للنبي صلى الله عليه وسلم ما بين يتم وإيواء، وهداية عامة وهداية خاصة، وعيلة وإغناء.

إن مرور صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم بهذه الأحوال وإشارة القرآن الكريم إليها يدلل على طبيعة الحياة التي جعلها الله تعالى موطنا لتغير الأحوال، وقد أتى التأكيد على نفس السنة في السورة التي تعقب سورة الضحى في ترتيب المصحف وهي سورة الشرح ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ الشرح: ٥ - ٦ وتأكد ذلك أيضًا في سورة الانشقاق في قوله تعالى: ﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩ ﴾ الانشقاق: ١٩

حيث ذكر القرطبي أن عكرمة قال: حالا بعد حال، فطيما بعد رضيع، وشيخاً بعد شباب، وأن مكحول قال: كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه: وأما الحسن فقال: أمرا بعد أمر، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقرا بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقما بعد صحة. (٢)

إن سورة الضحى مثَّلت أنموذجًا لما أسسه المنهج القرآني من علاقة وثيقة بين فهم طبيعة الحياة والوعي بسننها وبين نجاعة الخطاب الديني.

---

(١) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم ، جـ٩صـ١٧٠

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ١٩، صـ٢٧٩

نتائج البحث

١. مثَّل التأصيل للخطاب الديني مجالًا محوريا من مجالات المنهج القرآني، واتخذ هذا التأصيل العديد من المسارات كبيان أسسه وقواعده، ومنها إيضاح أهميته الإنسانية والاجتماعية.

٢. الخطاب الديني الذي ينطلق من وعي بالقضايا الكونية خطاب يستطيع أن يبرهن على اتساق آيات الله المسطورة مع آياته المنظورة فيدحض فرية التعارض بينهما.

٣. لبعض السور القرآنية مدخلية خاصة في التأسيس للخطاب الديني وذلك بسبب سياقها الزماني أو المكاني أو غير ذلك، وتأتي سورة الضحى لتكون ضمن السور التي تقع ضمن هذا النوع.

٤. سورة الضحى من حيث سياقها الزماني تقع ضمن السور الأوائل التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، ويشير سبب نزولها إلى مرحلة من مراحل الرسالة، تلك

المرحلة التي كان يثير فيها المشركون إشكاليات عدة تتعلق بالوحي الإلهي.

٥. أشارت سورة الضحى إلى الارتباط بين حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعد النبوة مما يعطي توجيها لعدم الفصل الكامل بين الحياتين.

٦. حين مثَّلت النظرة إلى الكون أهمية محورية كان للإسلام رؤيته المتكاملة النابعة من مصدريه القرآن والسنة حيث تأسست معالم هذه النظرة في العديد من النصوص القرآنية والنبوية، وكان من مسارات تأسيس هذه الرؤية الربط بينها وبين الإطار الديني كما في سورة الضحى.

٧. تأكيد الموعود الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن طريق القسم بمظهر من مظاهر الكون يعطي دلالة لتجذر العلاقة بين التأسيس القرآني للخطاب الديني والوعي بالقضايا الكونية.

٨. تمثل قضية الوحي في حد ذاتها والتي كانت المقصد الأساسي لسورة الضحى إحدى الدلائل على ما بينه الإسلام في حقيقة الكون حيث يمثل الوحي دليلا على أن الكون ليس ذا إطار آلي بل هو خاضع لإرادة الخالق.

٩. يأتي الانسجام بين الحديث عن قضية الوحي والإطار الكوني ليعطينا دلالة على أن وحي الله لرسوله صلى الله عليه وسلم له من الكمال والتمام ما للسنن الكونية.

١٠. من مسارات العلاقة بين الخطاب الديني والقضايا الإنسانية من خلال سورة الضحى أن الوحي حاجة إنسانية حيث يمثل الهدى الإلهي لهذا الإنسان.

١١. حين ننظر إلى المآسي الإنسانية التي جاء الوحي الإلهي شفاء لها لا بد أن نستحضر أن الله تعالى حين يبين لرسوله صلى الله عليه وسلم عدم انقطاع الوحي فإنه بيَّن أيضا عدم انقطاع الهداية الإلهية لهذا الإنسان.

١٢. كان من دلالات سورة الضحى الكشف عن الطبيعة البشرية وما يعتريها ومن ذلك حاجة النفس الإنسانية إلى رد الادعاءات التي تطالها لما لذلك من أثر نفسي.

١٣. يُعَدُّ التوجيه الإلهي في سورة الضحى بمراعاة الضعف الإنساني بداية لتوجيهات متتالية مثلت إطارًا متكاملًا يجعل من تلك المراعاة إحدى الأدوار التي تقع على عاتق الخطاب الديني.

١٤. حين كان من معالم الرؤية الإسلامية للإنسان تعدد مكوناته مادة ومعنى رأينا سورة الضحى في تأسيسها للخطاب الديني تبرز هذه الثنائية.

١٥. لم يعرض القرآن الكريم قضية طبيعة الحياة على أنها مجرد تصور فكري عند الإنسان ليس له انعكاسات واقعية، بل حين نتدبر هذا الحديث نجد أنه بيَّن أن كثيرا من التصرفات الإنسانية إيجابية كانت أو سلبية ترجع للقناعات المتعلقة بطبيعة الحياة.

١٦. كان قوله تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ الضحى: ٤ موردا لاستنباط العلماء الفوارق بين طبيعة الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

المصادر والمراجع

١. ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم (ت: ٧٠٨هـ). البرهان في تناسب سور القرآن. تح: محمد شعباني. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٩٠م.
٢. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الجوزية. (تـ ٧٥١هـ). التبيان في أقسام القرآن. تح: محمد زهري النجار . الرياض: المؤسسة السعدية.
٣. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الجوزية. (تـ ٧٥١هـ). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تح: محمد البغدادي. بيروت: ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٤. ابن أمير حاج، محمد بن محمد الحنفيّ (ت ٨٧٩هـ) . التقرير والتحبير. ط٢ . بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٥. ابن بطال ، علي بن خلف.(ت:٤٤٩هـ). شرح صحيح البخاري. تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط٢. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٦. ابن حجر، أحمد بن علي.(تـ ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.
٧. ابن عاشور، محمد الطاهر. (ت:١٣٩٣ هـ). التحرير والتنوير . تونس: الدار التونسية للنشر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر . (ت: ٧٧٤هـ). تفسير القرآن العظيم. تح: سامي بن محمد سلامة.ط٢. دار طيبة ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (تـ ٧٧٤هـ). فضائل القرآن.ط١. مكتبة ابن تيمية ، ١٤١٦هـ.
١٠. ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني.(ت:٢٧٣هـ). سنن ابن ماجه. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار احياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
١١. ابن منظور، جمال الدين محمد (ت: ٧١١ هـ). لسان العرب. ط٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

١٢. ابن هشام ، عبد الملك . (ت: ٢١٣هـ). السيرة النبوية . تح: مصطفى السقا وآخرين .ط٢. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
١٣. أبو السعود، العمادي محمد . (ت ٩٨٢هـ). تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . بيروت : دار إحياء التراث العربي.
١٤. أبو عوانه، يعقوب بن إسحاق . مستخرج أبي عوانه. تح: أيمن بن عارف الدمشقي.ط١. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م.
١٥. الالوسي ، محمود بن عبد الله . (ت ١٢٧٠هـ). تفسير الالوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تح: علي عبد الباري عطية. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
١٦. البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ). صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح. تح: محمد زهير بن ناصر. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.ط١. دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ.
١٧. البركتي ، محمد عميم الإحسان. التعريفات الفقهية. ط١. دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٨. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن.(ت: ٨٨٥ هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تح: عبدالرزاق غالب مهدي.ط١. بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.
١٩. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. (ت: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي. تح: أحمد محمد شاكر وآخرين .ط٢. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
٢٠. التفتازاني، مسعود بن عمر (تـ٧٩٣هـ). شرح التلويح على التوضيح. مصر: مكتبة صبيح.
٢١. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي (ت: ٣٧٠ هـ). احكام القرآن. تح: محمد صادق القمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي١٤٠٥هـ.

٢٢. دراز، محمد بن عبد الله. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم. اعتنى به: عبد الحميد الدخاخني. ط١. دار طيبه، ١٩٩٤م.
٢٣. الرازي، فخر الدين الرازي. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. ط:٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٤. الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (ت١٣٦٧هـ). مناهل العرفان في علوم القرآن. ط٣. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٥. السلمي، عياض بن نامي ."تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه". مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، مجلد٦، عدد١٧،(٢٠١٠م)
٢٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) .الإتقان في علوم القرآن. تح : محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب.١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م
٢٧. الشرقاوي، محمد عبد الله. القرآن والكون. مكتبة الزهراء.
٢٨. الشهري، عبد الله بن حسن بن غرمان." معالم الخطاب الديني المعاصر وأثره في تعظيم السنة النبوية". مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد١٩،العدد٤،(٢٠٢٢م)
٢٩. صالح، بشرى محمود .الخطاب الديني ودوره في التنمية المجتمعية. العراق: الجامعة المستنصرية.
٣٠. صبح، علي. التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية. المكتبة الأزهرية للتراث.
٣١. الطبري، محمد بن جرير. (تـ ٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري. تح: أحمد شاكر. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٣٢. قاسم، حمزه محمد. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري. دمشق- الطائف: مكتبة دار البيان- مكتبة المؤيد،١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٣٣. القرطبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٧١ هـ). الجامع لأحكام القرآن. تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤م.
٣٤. قرني، إسماعيل محمد. الكون في القرآن الكريم دراسة مقارنة. دار دجلة.
٣٥. القصاب، أحمد محمد بن علي . النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام.ط١. دار القيم، دار ابن عفان،٢٠٠٣م.
٣٦. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (ت: ١٠٩٤ هـ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تح: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣٧. المراغي، احمد مصطفى. (ت ١٣٧١هـ). تفسير المراغي.ط١. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٦٥هـ_١٩٤٦م
٣٨. مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري.(ت:٢٦١هـ). صحيح مسلم = المسند الصحيح . تح: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار احياء التراث العربي.
٣٩. المقريزي، أحمد بن علي .(ت: ٨٤٥هـ). السلوك لمعرفة دول الملوك. تح: محمد عبد القادر عطا.ط١. بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
٤٠. موسى، محمد يوسف. القرآن والفلسفة. القاهرة: دار الكتاب المصري.
٤١. النسفي ، عبد الله بن أحمد. (ت: ٧١٠هـ). تفسير النسفي =مدارك التنزيل. تح: يوسف بديوي. ط١. بيروت: دار الكلم الطيب. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٤٢. وجدي، محمد فريد .الإسلام في عصر العلم.ط٣. بيروت: دار الكتاب العربي .

References

❖ *After the Holy Quran*

- *Abu al-Saud, al-Amadi Muhammad. (d. 982 AH). Tafsir Abi Alsueud = Iirshad Aleaql Alsalim Iilaa Mazaya Alkitaab Alkarim. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.*
- *Abu Awana, Yaqub bin Ishaq. Mustakhraj Abi Awana. ed: Ayman bin Arif Al-Dimashqi. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Ma'rifah, 1998AD.*
- *Al-Alusi, Mahmoud bin Abdullah. (d. 1270 AH). Tafsir Alalusii = Ruh Almaeani fi Tafsir Alquran Aleazim Walsabe Almathani. ed: Ali Abdul-Bari Attia. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1415 AH.*
- *Al-Baqaei, Ibrahim bin Omar bin Hassan. (d. 885 AH). Nazm Al-Durar fi Tansab Al-Ayat wa Al-Sur. ed. Abdul-Razzaq Ghaleb Mahdi. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1415 AH - 1995 AD.*
- *Al-Barakati, Muhammad Ameem Al-Ihsan. Altaerifat Alfiqhia. 1nd ed. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1424 AH - 2003 AD.*
- *Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (d. 256 AH). Sahih Albukharii = Aljamie Almusnad Alsahihi.. ed: Muhammad Zuhair bin Nasser. Numbering: Muhammad Fuad Abdul-Baqi. 1nd ed. Dar Tawq Al-Najah, 1422 AH.*
- *Al-Jassas, Ahmad bin Ali Abu Bakr Al-Razi (d. 370 AH). Ahkam Al-Quran. ed. Muhammad Sadiq Al-Qamhawi. Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1405 AH.*
- *Al-Kafwi, Abu Al-Baqa Ayoub bin Musa (d. 1094 AH). Alkuliyaat Muejam fi Almustalahat Walfuruq Allughawia. ed: Adnan Darwish and Muhammad Al-Masry. Beirut: Al-Risala Foundation.*
- *Al-Maqrizi, Ahmad ibn Ali (d. 845 AH). Al-Suluk li-Marifat Dawul Al-Muluk. ed. Muhammad Abd Al-Qadir Atta. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1418 AH - 1997 AD.*
- *Al-Maraghi, Ahmad Mustafa. (d. 1371 AH). Al-Maraghi Tafsir . 1nd ed. Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Press, 1365 AH-1946 AD.*
- *Al-Nasafi, Abdullah ibn Ahmad (d. 710 AH). Tafsir Alnisafii =Mdarik Altanzil. ed. Yusuf Badawi. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib. 1419 AH - 1998 AD.*
- *Al-Qassab, Ahmad Muhammad bin Ali. Alnakat Aldaalat ealaa Albayan fi Anwae Aleulum Walahkam. 1nd ed. Dar Al-Qayyim, Dar Ibn Affan, 2003 AD.*

- *Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad (d. 671 AH). Aljamie Liahkam Alquran. ed: Ahmad Al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh. 2nd ed. Cairo: Dar Al-Kutub Al-Masryia, 1384 AH - 1964 AD.*
- *Al-Razi, Fakhr Al-Din Al-Razi. Mafatih Alghayb = Altafsir Alkabir. 3nd ed. Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1420 AH - 2000 AD.*
- *Al-Salami, Iyadh bin Nami. " Tajdid Alkhitab Aldiynii Mafhumuh Wadawabitih ". Journal of the Center for Islamic Research and Studies, Cairo University, Faculty of Dar Al-Ulum, Volume 6, Issue 17, (2010AD).*
- *Al-Shahri, Abdullah bin Hassan bin Gharman. "Maealim Alkhitab Aldiynii Almueasir Waatharuh fi Taezim Alsunat Alnabawia." King Khalid University Journal for Sharia Sciences and Islamic Studies, Volume 19, Issue 4, (2022 AD).*
- *Al-Sharqawi, Muhammad Abdullah. Alquran Walkawn. Al-Zahra Library.*
- *Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr (d. 911 AH). Aliitqan fi Eulum Alquran. ed: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. Egyptian General Book Authority. 1394 AH - 1974 AD.*
- *Al-Tabari, Muhammad bin Jarir. (d. 310 AH). Jami Al-Bayan an Tawil Ayat Al-Quran = Tafsir Al-Tabari. ed. Ahmad Shaker. 1nd ed. Beirut: Al-Risala Foundation, 1420 AH - 2000 AD.*
- *Al-Taftazani, Masoud bin Omar (d. 793 AH). Sharh Al-Talwih ala Al-Tawdih. Egypt: Subaih Library.*
- *Al-Tirmidhi, Abu Issa Muhammad bin Issa. (d. 279 AH) Sunan Al-Tirmidhi. ed. Ahmad Muhammad Shaker and others. 2nd ed. Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing House, 1395 AH - 1975 AD.*
- *Al-Zurqani, Muhammad Abdul Azim (d. 1367 AH). Manahil Aleirfan fi Eulum Alquran. 3nd ed. Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners Press.*
- *Daraz, Muhammad bin Abdullah. Alnaba Aleazim Nazarat Jadidat fi Alquran Alkarim. ed: Abdul Hamid Al-Dakhakhani. 1nd ed. Dar Taybah, 1994AD.*
- *Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr al-Jawziyya. (d. 751 AH). Al-Tibyan fi Aqsam al-Quran. ed: Muhammad Zahri al-Najjar. Riyadh: Al-Saadiya Foundation.*
- *Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr al-Jawziyya. (d. 751 AH). Madarij Alsaalikin Bayn Manazil Iiaak Naebud Waiiaak Nastaein. ed: Muhammad al-Baghdadi. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1416 AH - 1996 AD.*
- *Ibn al-Zubayr al-Garnati, Ahmad ibn Ibrahim (d. 708 AH). Alburhan fi Tunasib Suar Alquran. ed: Muhammad Shabani. Morocco: Ministry of Endowments and Islamic Affairs 1990AD.*

- *Ibn Amir Hajj, Muhammad ibn Muhammad al-Hanafi (d. 879 AH). Al-Taqrir wa al-Tahbir. 2nd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1403 AH - 1983 AD.*
- *Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher. (d. 1393 AH). Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Tunis: Tunisian House for Publishing, 1405 AH - 1984 AD.*
- *Ibn Battel, Ali bin Khalaf. (d. 449 AH). Sharh Sahih Al-Bukhari. ed: Abu Tamim Yasser bin Ibrahim. 2nd ed. Riyadh: Maktabat Al-Rushd, 1423 AH - 2003 AD.*
- *Ibn Hajar, Ahmad bin Ali. (d. 852 AH). Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari. Pagination: Muhammad Fuad Abdul-Baqi. Beirut: Dar Al-Marifah, 1379 AH - 1960 AD.*
- *Ibn Hisham, Abdul-Malik. (d. 213 AH). Alsiyrat Alnabawia. ed: Mustafa al-Saqqa and others. 2nd ed. Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi Press, 1375 AH - 1955 AD.*
- *Ibn Kathir, Ismail bin Omar. (d. 774 AH). Fadayil Alquran. 1nd ed. Ibn Taymiyyah Library, 1416 AH.*
- *Ibn Kathir, Ismail bin Omar. (d. 774 AH). Tafsir Alquran Aleazim. ed: Sami bin Muhammad Salamah. 2nd ed. Dar Taybah, 1420 AH - 1999 AD.*
- *Ibn Majah, Muhammad ibn Yazid al-Qazwini. (d. 273 AH). Sunan Ibn Majah. ed: Muhammad Fuad Abdul-Baqi. Beirut: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah, Faisal Issa al-Babi al-Halabi.*
- *Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad (d. 711 AH). Lisan al-Arab. 3nd ed. Beirut: Dar Sadir, 1414 AH.*
- *Musa, Muhammad Yusuf. Al-Quran wa Al-Falsafa. Cairo: Dar Al-Kitab Al-Masry.*
- *Muslim, Muslim bin al-Hajjaj al-Nishaburi. (d. 261 AH). Sahih Muslim = Almusnad Alsahih. ed. Muhammad Fuad Abdul-Baqi. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.*
- *Qarni, Ismail Muhammad. Alkawn fi Alquran Alkarim: A Comparative Study. Dar Dijlah.*
- *Qasim, Hamza Muhammad. Manar Al-Qari, Manar Alqary Sharh Mukhtasar Sahih Albukharii. Damascus-Taif: Dar Al-Bayan Library- Al-Muayyad Library, 1410 AH - 1990 AD.*
- *Saleh, Bushra Mahmoud. Alkhitab Aldiyniu Wadawruh fi Altanmiat Almujtamaeia. Iraq: Al-Mustansiriya University.*
- *Subh, Ali. Altaswir Alquraniu Lilqiam Alkhuluqiat Waltashrieia. Al-Azhar Library for Heritage.*
- *Wajdi, Muhammad Farid. Aliislam fi Easr Aleilm. 3nd ed. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.*